حجوا قبل ألا تحجوا

الحمد لله فالق الإصباح، والحمد لله بكرة وعشيا وفي الغدو وفي الرواح، الحمد لله الذي وفد له الحجيج من كل ناحية وساح، وجعل الحج والمشاعر مزادة للتقوى، ومهوى للنفوس، ومنهلا للأرواح، وجعل بيته المعظم حرما لا يستباح، وحمى لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يشهر به سلاح، أشهد أن لا إله إلا الله وحده الأحد الحميد وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله سيد من حج البيت وطاف، صلى الله عليه وعلى آله وعلى صحابته الأسلاف، ومن اتبعهم واستن بهديهم من التابعين والأخلاف، وسلم يا رب تسليما كثيرا.

أما بعد، أيها المسلمون بعض الناس يسافر للسياحة في بلاد شتى ويصرف أربعين أو خمسين ألف ريال في بلاد سياحية كماليزيا وتركيا وجورجيا وأوروبا ونحوها، فإذا ذكرته بالحج وهو قادر عليه تعذر بالغلاء ونحوه، وبادر إلى التأجيل وبعضهم وصل عمره إلى أربعين وخمسين سنة ولم يحج بأعذار واهية يزعمها، بينما هذا المسكين الجاهل يصرف الأموال الطائلة في شراء سيارات فارهة، وأثاث غالٍ بمئات الآلاف، وقد يملك في رصيده الملايين أو عشرات الآلاف ونحوها، وكل سنة يؤجل ولن يرى الندم إلا يوم القيامة.

عباد الله: لقد شدد فقهاء المسلمين في حق من لم يحج وأوجبوا عليه

الحج؛ بل حسبوا له النفقة فقد ذكر ابن شجاع أنه إذا كانت له دار لا يسكنها، ولا يؤاجرها، ومتاع لا يمتهنه، وعبد لا يستخدمه، وجب عليه أن يبيعه، ويحج به.

وذكر الكرخي أن أبا يوسف قال إذا لم يكن له مسكن، ولا خادم، ولا قوت عياله، وعنده دراهم تبلغه إلى الحج لا ينبغي أن يجعل ذلك في غير الحج فإن فعل أثم؛ لأنه مستطيع لملك الدراهم فلا يعذر في الترك، فتعجلوا للحج قال صلَّى الله عليه وسلَّم: (تعجَّلوا إلى الحج فإنَّ أحدكم لا يدري ما يَعرِض له). رواه أحمد. وقَالَ: (حجُّوا قبل أَلا تَحُجُّوا). رواه البيهقي.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾.

هذه آية وجوبِ الحجِّ، وقد وردتِ الأحاديثُ المتعدِّدة بأنَّ الحج أحدُ أركان الإسلام، ودعائمه وقواعده، وإنما يجب على المكلَّف في العمر مرَّة واحدة بالنص والإجماع.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، قال: خَطبَنا رسولُ الله فقال: (أيُّها الناس، قد فَرَض الله عليكم الحجَّ فحجُّوا)، فقال رجل: أكُلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله: (لو قلتُ نعم لوجبتْ، ولَمَا استطعتم).

قال العلماء: تضمَّنت الآية أنَّ مَن مات ولم يحجَّ وهو قادر، فالوعيد

يتوجه إليه، ولا يجزئ أن يحجَّ عنه غيرُه؛ لأنَّ حج الغير لو أسقط عنه الفرْض لسقط عنه الوعيد، والله أعلم.

فكيف تطيب نفسُ المؤمن أن يترك الحجَّ مع قدرته عليه بماله وبدنه، وهو يعلم أنَّه من فرائض الإسلام وأركانه؟!

كيف يبخل بالمال على نفسِه في أداء هذه الفريضة، وهو ينفق الكثيرَ من ماله فيما تهواه نفسُه؟!

وكيف يوفِّر نفسَه عن التعب في الحجِّ وهو يُرهِق نفسَه في التعب في أمور دنياه؟!

وكيف يتثاقل فريضةَ الحج وهو لا يَجِب في العمر سوى مرَّة واحدة؟!

وكيف يتراخَى ويؤخِّر أداءه وهو لا يَدري لعلَّه لا يستطيع الوصول إليه بعد عامه؟!

تذكَّرْ يا من لم تحجَّ وأنت قادر أنَّ ركنًا من أركان دِينك ناقص، فكيف، وبماذا ستلقى الله؟!

وصحَّ عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "مَن أطاق الحجَّ فلم يحجَّ، فسواء عليه مات يهوديًّا أو نصرانيًّا". رواه الإسماعيلي.

وقال: "لقد هممتُ أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار إلى كلِّ مَن عنده جِدَة – أي: غِنىً- فلم يحجَّ، فيضربوا عليه الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين". رواه البيهقي.

فالحج فريضةٌ من الله على عباده، ولكنَّ بعض العباد ما فكَّر - ولو

مجرَّد تفكير – في أن يحجَّ بيت الله الحرام، وأن يؤديَ هذا الركن الخامس من أركان الإسلام.

وقال سعيد بن جُبَير: لو مات جارٌ لي، وله مَيْسرةٌ ولم يحج، لم أصلِّ عليه.

وقال الحسن البصري: إنَّ مَن ترك الحج وهو قادر عليه فهو كافِر.

إنَّ المؤمن إذا أدَّى الحج والعمرة بعد بلوغه مرَّة واحدة، فقد أسقط الفريضةَ عن نفسه، وأكمل بذلك أركانَ إسلامه، ولم يَجبْ عليه بعد ذلك حجٌّ ولا عمرة، واستمعْ معي لهذا الحديث الذي يسكبُ الطُّمأنينة في القلوب القلقة، التي تظنُّ أنَّ النفقة التي تُنفَق في الحج تقلِّل المال، وتفقر صاحبَها؛ قال رسول الله: (تَابِعُوا بين الحجِّ والعُمْرة، فإنَّهما ينفيان الفقرَ والذنوب كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديدِ والذهب والفِضَّة، وليس للحجَّة المبرورة ثوابٌ إلاَّ الجَنَّة). رواه ابن ماجه.

الله أكبر ما أعظمَها مِن بشارة! فلا تظنَّ أخي أنَّ الآلاف التي تنفقها اليوم على الحج، لا تظن أنَّ الله لا يعوضك، بل يعوضها وأضعافها، فقد أخبرنا عليه السلام في هذا الحديث بأنَّ متابعة الحج والعمرة لا تنفي الذنوبَ فحسبُ، بل تنفي الفقرَ أيضًا؛ لذلك كان الفقيرُ حقًّا مَن حبس نفسَه عن حجِّ بيت الله الحرام بُخلاً بماله عن طاعة ربِّه، ولا حولَ ولا قوَّة إلاَّ بالله.

قال صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عز وجل: (إنَّ عبدًا صححتُ له جِسمَه، ووسعتُ عليه في المعيشة تمضي عليه خمسةُ أعوام لا يفد إلي –

لمحرومٌ). رواه ابن حبان.

أسأل اللهَ تعالى أن يجعلني وإيَّاكم ممَّن يستمعون القول، فيتبعون أحسنَه، اللهمَّ يسِّر النية والإقدام لحجِّ بيتك الحرام، يا كريمُ يا منَّان يا ذا الجلال والإكرام.

** ** **

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي تفرد بالخلق والتدبير، وتصرف بالحكمة البالغة وبديع التقدير، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تنزه عن التشبيه وتقدس عن النظير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله فهو السراج المنير، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله السادة ذوي القدر العلي وأصحابه الكرام ذوي الشرف الكبير، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

ثم أما بعد عباد الله إليكم بعض فوائد الحج:

أولا: الحج يهدم ما قبله: قال صلى الله عليه وسلم: (أمَا علمتَ أنَّ الإسلام يَهدِم ما كان قبله، وأنَّ الهِجرة تهدِم ما كان قبلَها، وأنَّ الحجَّ يهدم ما كان قبلَه؟). رواه مسلم.

ثانيا: الحاج يعود بعد حجه كيوم ولدته أمه: قال صلى الله عليه وسلم: (مَن حجَّ هذا البيت، فلم يرفُثْ، ولم يفسق، رجع كيومَ ولدتْه أمُّه). رواه

مسلم.

ثالثا: الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد: فقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: (إيمانٌ بالله ورسوله)، قيل: ثم ماذا؟ قال: (ثم جِهادٌ في سبيل الله)، قيل: ثم ماذا؟ قال: (ثم حجٌّ مبرور). رواه البخاري.

رابعا: الحجُّ أفضل الجهاد: عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قلت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضلَ الأعمال، أفلا نجاهد؟ قال: (لا، لَكُنَّ أفضل الجهاد؛ حجٌّ مبرور). رواه البخاري.

خامسا: الحج المبرور جزاؤه الجنة: قال صلى الله عليه وسلم: (العُمرةُ إلى العمرة كفَّارة لِمَا بينهما، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجَنَّة). رواه البخاري.

سادسا: من فضائل الحج: أنَّ الحُجَّاج وفْدُ الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دعَوْه أجابهم، وإن استغفروه غفَر لهم، ونفقتُهم في سبيل الله، وهي مُخْلَفة عليهم، وهم معانون في أداء النُّسُك.

سابعا: جاء رجل من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كلمات أسأل عنهن، قال: "اجلس"، وجاء رجل من ثقيف، فقال: يا رسول الله، كلمات أسأل عنهن، فقال صلى الله عليه وسلم: "سبقك الأنصاري"، فقال الأنصاري: إنه رجل غريب، وإن للغريب حقا، فابدأ به فأقبل على الثقفي، فقال: "إن شئت أجبتك عما كنت تسأل،

وإن شئت سألتني وأخبرك"، فقال: يا رسول الله، بل أجبني عما كنت أسألك، قال: "جئت تسألني عن الركوع، والسجود، والصلاة، والصوم"، فقال: لا، والذي بعثك بالحق ما أخطأت مما كان في نفسي شيئا، قال: "فإذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك، ثم فرج بين أصابعك، ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه، وإذا سجدت فمكن جبهتك، ولا تنقر نقرا، وَصَلِّ أول النهار وآخره"، فقال: يا نبي الله، فإن أنا صليت بينهما؟ قال: "فأنت إذا مصل، وصم من كل شهر ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة". فقام الثقفي، ثم أقبل على الأنصاري، فقال: "إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل، وإن شئت سألتني فأخبرك"، فقال: لا يا نبي الله، أخبرني عما جئت أسألك قال: "جئت تسألني عن الحاج ما له حين يخرج من بيته؟ وما له حين يقوم بعرفات؟ وما له حين يرمي الجمار؟ وما له حين يحلق رأسه؟ وما له حين يقضي آخر طواف بالبيت؟ " فقال: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق ما أخطأت مما كان في نفسي شيئا، قال: "فإن له حين يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة إلا كتب له بها حسنة، أو حطت عنه بها خطيئة، فإذا وقف بعرفة، فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: انظروا إلى عبادي شعثا غبرا، اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم، وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج، وإذا رمى الجمار لا يدري أحد ما له حتى يوفاه يوم القيامة، وإذا حلق رأسه فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة، وإذا قضى آخر طوافه

بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه". رواه ابن بلبان في الإحسان.

فيا من عزم على الحج عليك أن تتعلم صفته، وتُبَصِّرَ نفسك بأحكام نسكه من خلال القراءة والسماع لما صدر عن العلماء المعتبرين في صفة الحج.

كما ينبغي التأكيد على أهمية الالتزام بالأنظمة والتعليمات المتعلقة باستخراج التصريح لمن أراد الحج، فقد ورد عن هيئة كبار العلماء عدم جواز الذهاب إلى الحج دون أخذ تصريح وأن من حج بلا تصريح فهو آثم لمخالفته أمر ولي الأمر، ولما في ذلك من الإضرار بعموم الحجاج، وكذلك التأكيد على أن الالتزام بالتعليمات الصادرة من ولي الأمر لتنظيم الحج وتيسيره للناس، وقد رأينا جهودًا مباركة شهد بها العدو قبل الصديق بالنجاحات المبهرة التي ظهرت في إدارة الحشود، وتنظيم الحج على أعلى المستويات، بارك الله في هذا البلد الكريم وجعله منارة للعالمين.